المحاضرة الثانية/ مفهوم النقد الثقافي:

يقول آرثر ايزابرجر في كتابه **النقد الثقافي–تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية**– معرفا النقد الثقافي بأنه «نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته بمعنى أن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات المستمدة من حقول معرفية متعددة على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة، فهو كما أعتقد مهمة متداخلة مترابطة متجاوزة متعددة، كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات متعددة ويستخدمون أفكار ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط وبمقدوره أيضا أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية.»[1]

من خلال هذا التعريف بيدوا أن اهتمامات النقد الثقافي في المجال المعرفي هي اهتمامات متنوعة فهو لا يكتفي بإجراء ومنهج محدد من أجل الغوص في النصوص الأدبية وغيرها، بل يستند على مجموعة من المقولات والمفاهيم المأخوذة من مختلف النظريات المعرفية فمهمة الناقد الثقافي تختلف عن مهمة الناقد الأدبي كون النقد الثقافي كما يقول يوحنا سميث في مقاله **ما النقد الثقافي** «يعرض الفكرة الشائعة عن الثقافة(...) فالنقاد الثقافيون يرغبون في جعل مصطلح ثقافة مشيرا إلى الثقافة الشعبية بقدر إشارته إلى تلك الثقافة التي عادة مانقربها بما يطلق عليه الكلاسيكيات، وبمعنى آخر يمكن للناقد الثقافي أن يكتب عن يوليسيس لجيمس جويس بمثل ما يمكنه الكتابة عن مسلسل سينيمائي(...) إنه

[1]– آرثر ايزابرجر: النقد الثقافي–تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية–، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2003، ص ص30–31.

يسعى إلى تحطيم التخوم بين الأعلى والأدنى كما يسعى إلى تعرية التراتبية التي يتضمنها التفريق بينهما»[1].

ظهر النقد الثقافي أول مرة على يد المفكر الألماني تيودور أدورنو من خلال مقاله المعنون بـ: **النقد الثقافي والمجتمع الذي كتبه سنة 1949** وتجدر الإشارة أن تيودر أدورنو هو من بين أبرز النقاد الذين ينتمون **لمدرسة فرانكفورت** التي سنتحدث عنها فيما بعد عند التطرق للخلفيات الفكرية التي جاء منها النقد الثقافي، كما يعتبر أيضا من بين أبرز من حللوا وانشغلوا بصناعة الثقافة والهجوم على مايسمى **بالثقافة الجماهيرية**، ويرى أدورنو في هذا المقال أن النقد الثقافي مفهوم برجوازي أنتجه المجتمع الاستهلاكي ولابد لنا أن نعي حقيقته بوصفه كذلك، فهو يحوّل الثقافة إلى سلعة، ويخضعها لدوائر **التشيؤ** والتسليع والاستهلاك، وفي هذا الصدد يقول سعد البازعي وميجان الرويلي في كتابهما **دليل الناقد الأدبي** «في المقالة هجوم على ذلك اللون من النشاط الذي يربطه الكاتب بالثقافة الأوروبية عند نهاية القرن التاسع عشر، بوصفه نقدا برجوازيا يمثل مسلمات الثقافة السائدة ببعدها عن الروح الحقيقية للنقد وما فيها من نزوع سلطوي للسائد والمقبول عند الأكثرية»[2]، ويبدو أن أدورنو هنا لم يكن مفهوم النقد الثقافي الذي يتحدث عنه سوى مصطلح شائع في تلك الفترة ولايرتبط مدلوله بما هو متداول ومعروف اليوم في الساحة النقدية عن النقد الثقافي سواء الذي يستمد أصوله من الدراسات الثقافية والتاريخانية الجديدة والنظرية الماركسية أو الذي ارتبط بالمفكر الآخر فنسنت ب ليتش حيث حاول هذا الأخير تأسيس ما يعرف **بالنقد الثقافي المابعد بنيوي** وكان غرضه من هذا كما يقول حواس محمود في مقاله **النقد الثقافي كبديل عن النقد الأدبي** «**تمكين** النقد المعاصر من الخروج من نفق الشكلانية والنقد

[1]– نقلا عن عزالدين المناصرة: النقد الثقافي السلافي–جماليات المثاقفة وتلميحات النواة الخفي–، مجلة فصول، مصر، مج 3/25، ع99، ربيع 2017، ص 117.

[2]– ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي–إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا–، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2002، ص306.

الشكلاني الذي حصر الممارسات النقدية داخل الأدب، كما تفهمه المؤسسات الأكاديمية، وبالتالي تمكين النقاد من تناول مختلف أوجه الثقافة، ولاسيما تلك التي يهملها عادة النقد الأدبي»[1]، وقد خص ب ليتش **النقد الثقافي مابعد البنيوي** كما يري الرويلي والبازعي بميزات ثلاثة تمثلت في:

- ✓ إنه يتمرد على الفهم الرسمي الذي تشيعه المؤسسات للنصوص الجمالية فيتسع إلى ماهو خارج مجالها واهتمامها.
- ✓ إنه يوظف مزيجا من المناهج التي تعنى بتأويل النصوص وكشف خلفياتها التاريخية آخذا بالاعتبار الأبعاد الثقافية للنصوص.
- ✓ إن عنايته تنصرف بشكل أساسي إلى فحص أنظمة الخطابات والكيفية التي بها يمكن أن تفضح النصوص عن نفسها ضمن إطار منهجي. [2]

وبالتالي نفهم من هذا أن النقد الثقافي مصمم لنقد الأنساق الثقافية وهو يهدف إلى تفكيكها والتحرر من سيطرتها وفضح تلك التراتبيات التي تنتجها هذه الأنساق فهي المسؤول الأول عن إنتاج الأفعال والسلوك والعلاقات والمعاني وطرائق التفكير، ومن جهة أخرى يمكن القول أن النقد الثقافي عند ب ليتش لن يكون إلغاء منهجيا للنقد الأدبي بل إنه سيعتمد اعتمادا جوهريا على المنجز المنهجي الاجرائي للنقد الأدبي وفي هذا الصدد يقول ب ليتش في كتابه **النقد الأدبي الأمريكي** «صحيح أن التحليل الجمالي أساسي وضروري لكنه في نهاية الأمر غير كاف لمشروع النقد الثقافي»[3].

---

[1]– حواس محمود : بصدد النقد الثقافي– النقد الثقافي كبديل عن النقد الأدبي–، مجلة الجوبة، مركز عبد الرحمان السديري الثقافي، ع22، 2009، ص 57.

[2]– ينظر: ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي–إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا–، ص 197.

[3]– فنسنت ب ليتس: النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات، تر: محمد يحي، المشروع القومي للترجمة، مصر، دط، 2000، ص107.

يعرف سمير خليل في كتابه **النقد الثقافي –من النص الأدبي إلى الخطاب–** النقد الثقافي بقوله «النقد الثقافي في أبسط مفهوماته ليس بحثا أو تنقيبا في الثقافة إنما هو بحث في أنساقها المضمرة وفي مشكلاتها المركّبة والمعقّدة، وبذا فهو نشاط إنساني يحاول دراسة الممارسات الثقافية في أوجهها الاجتماعية والذاتية بل في تموضعاتها كافة بما في ذلك تموضعها النصوصي ومن هنا يبتعد النقد الثقافي عن الأدوات المنهجية المستعملة في النقد الأدبي وهي أدوات تبحث في بنية النص وفي ما هو بلاغي/جمالي أما النقد الثقافي فيبحث في الأنساق المضمرة للخطاب ويتعامل مع النص بوصفه حادثة ثقافية»[1]، وبعرفه أيضا أستاذ الأدب المقارن والنقد الحديث عبد النبي اسطيف في مقاله **ما النقد الثقافي ولماذا؟** بقوله «إنه نشاط فكري يتجسد إنشاء لغويا ينتسب إلى الثقافة التي تحدد بدورها طبيعته ووظيفته وحدوده، كما تحدد هويته التي تميزه عن غيره من ألوان النقد الأخرى»[2] وهذا الأمر هو ما كشف عنه أحد أبرز مؤسسي النقد الثقافي في الثقافة العربية عبد الله الغذامي، فمهمة النقد الثقافي عنده تتحدد كما يقول في تحريك «أدوات النقد باتجاه فعل الكشف عن الأنساق وتعرية الخطابات المؤسساتية والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة»[3]، ومهما تعددت التعريفات المرتبطة بالنقد الثقافي سواء في الثقافة العربية أو الغربية يبقى الأساس المفهومي واحد فكل التعاريف تتفق على أن النقد الثقافي ليس بمنهج ولا إجراء وإنما هو نشاط معرفي تتحدد مهمته في كشف الأنساق المضمرة التي تختبئ وراء الجمالي/البلاغي، وقد حدث جدل كبير بين مختلف النقاد سواء في الثقافة الغربية وخصوصا في ثقافتنا حول قضية هل **النقد الثقافي امتداد للنقد الأدبي أم أنه إعلان لموت النقد الأدبي؟**، وقد ناقشنا فيما سبق القضية مع ب ليتش الذي اعتبر أن

[1]– سمير خليل: النقد الثقافي –من النص الأدبي إلى الخطاب–، دار الجواهري، بغداد، ط1، 2012، ص07.

[2]– عبد النبي اسطيف: ما النقد الثقافي ولماذا؟، مجلة فصول، مصر، م 3/25، ع 99، ربيع 2017، ص15.

[3]– عبد الله الغذامي: النقد الثقافي–قراءة في الأنساق الثقافية العربية–، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 2014، ص 15.

النقد الثقافي هو مجرد امتداد للنقد الأدبي ولا يمكن أن يكون إعلانا لموته، كونه ينطلق منه ويؤسس لمختلف مقارباته عن طريقه، فقد استفاد النقد الثقافي من إنجازات الفكر مابعد الحداثي/ما بعد البنيوي في تدرجاته المعرفية والأمر هنا متعلق بما قدمه ميشال فوكو الذي حاول «تأسيس وعي نظري في نقد الخطابات الثقافية والأنساق الذهنية. وجرى الوقوف على فعل الخطاب وعلى تحولاه النسقية بدلا من الوقوف على مجرد حقيقته الجوهرية، التاريخية أو الجمالية»[1]، وهو متعلق أيضا بما قدمه جاك ديريدا في فلسفته التفكيكية، وكذا ما أتى به مؤسس هذا الاتجاه بورديار، ولا ننسى أيضا إنجازات رولان بارت مابعد البنيوية خصوصا في كتابه نظام الموضة وس.ز، فقد منحت «قراءات رولان بارت وفوكو وديريدا مساحة واسعة من الاشتغالات الثقافية وعلى ميادين متعددة ومتشعبة، أكسبت فيما بعد النقد الثقافي صفة الامتداد والاتساع»[2]، ولهذا كان آرثر ايزابرجر يؤكد دوما على أن نقاد النقد الثقافي لا ينطلقون من دون وجهة نظر بل لهم علاقة بمختلف التوجهات والنظريات الفكرية كالماركسية والنظرية النسوية ورؤى مابعد البنيوية وما قدمه كلا من علم النفس والأنثروبولوجيا وخصوصا الأنثروبولوجيا الثقافية مع غيرتز وغيرها من النظريات التي يكون مجالها العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تجدر الإشارةّ أن رواد النقد الثقافي في الثقافة الغربية ينحدرون من مختلف البلدان والجنسيات ففي **فرنسا** مثلا يعتبر رولان بارت وجاك ديريدا وميشال فوكو ولويس ألتوسير وبيار بورديو وغيرهم أهم رواد هذا الاتجاه وفي **روسيا** يمكن اعتبار قراءات باختين ويوري لوتمان من بين أهم الدراسات في هذا المجال وفي **ألمانيا** تعد دراسات ماركس وولتر بن يامين وتيودور أدورنو وهربرت ماركيوز وهوركهايمر ومختلف رواد مدرسة فرانكفورت التي سنتحدث عنها فيما بعد أبرز من مثلوا هذا الاتجاه وفي **أمريكا** يتصدر هذا المشهد

[1]– عبد الله الغذامي: النقد الثقافي–قراءة في الأنساق الثقافية العربية–، ص13.

[2]– عبد الرحمان عبد الله: النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي العراق أنموذجا، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط1، 2013، ص20.

الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد وغاياتري سبيفاك وهومي بابا وحميد دباشي وغواري فيسوانثان وفي ثقافتنا العربية يعد عبد الله الغذامي وعبد النبي اسطيف وجاسم الموسوي ونادر كاظم وإدريس الخضراوي ووحيد بن بوعزيز من بين أبرز من يشتغلون ضمن هذا المجال المعرفي، وتتسع القائمة ولكن هؤلاء هم من يمكن اعتبارهم رواد هذا النشاط المعرفي.

هذا فيما يتعلق بالرواد وما تعلق أيضا برؤية ب ليتش، ولكن من جهة أخرى في ثقافتنا العربية كان الصراع على أوجه في هذه القضية خصوصا بين عبد النبي اسطيف وعبد الله الغذامي، وهو الأمر الذي سنتطرق إليه في الحصة القادمة، حيث سنتحدث عن الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي عند هذين الناقدين.